تطبيق شعرية النثر

لم يعد الشعر يحتفظ بفروق كبيرة تجعله غريبًا عن النثر أي أن النص النثري يحمل بلغته ومفردته المحمل نفسه الذي يحمله النص الشعري وما فيه من دلالات .
إذن يمكن القول إن مصطلح الشعرية في النقد العربي الحديث ليس مقصورًا على الشعر، بل أصبح يُطلق على النثر فكلاهما له شعرية، وكلاهما له خصوصيته .
وتكمن شعرية النص سواء أكان شعرًا أم نثرًا في نظمه، أي في مفردات النص المعطّى، حيث يوظف الكاتب مفرداته في نصهِ بطريقة التكثيف، بمعنى القليل من الألفاظ والكثير من المعاني، وهذا ما سندرسه في إحدى النصوص النثرية التراثية التي تشكّل متنفسا للباحثين،إنها كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع .

لمحة مختصرة عن الكتاب:

الكتاب عبارة عن مجموعة من الحكايات تدور على ألسنة الحيوانات و هي ذات مغزى إرشادي ، يحكيها الفيلسوف "بيدبا" للملك "دبشليم"، ويبث من خلالها "ابن المقفع" آراءه السياسية في المنهج القويم للحُكْم، وميزة هذا الكتاب عن غيره أنه لا يتقيد بعصر أو بيئة، فهو ينسحب على كل الأزمنة والبيئات،و لأجل كل ذلك ينبغي الاحتكام إلى منهج مناسب تكون آلياته التي يعتمد عليها في أثناء التحليل أكثر مرونة ونجاعة للوصول إلى فهم الخطابات التي يحتويها الكتاب.
كما أن "ابن المقفع" يتمتع بعقل جبار، وبداهة حاذقة لأنه يملك ذخيرة لغوية عظيمة، ومادة فكرية واسعة؛ وقد ساهم في تطوير أساليب العربية ذاتها؛ فوصل بها إلى درجة قرّبته من الإتقان المنشود القائم على الوضوح والجمال الفني، ولعلّ زمن البدايات الذي عاش فيه ابن المقفع يبرز قيمة ما قدمه للعربية والبحث الأدبي والفكري.

شعرية العنوان:(كليلة ودمنة)

لا بدّ من التّعريج على الإيحاءات الدّلاليّة لعناوين القصص،باعتبار أنّ العنوان أهم عنصر في النص كونه يهيّء الأرضيّة للمتلقّي لاستكناه متن النص،و تسهيل كيفية الوصول إلى ما يريد الكاتب أن يوصله إليه.

الإيحاءات الدّلالية لعناوين القصص:

عادة ما يتميّز العنوان بالإيحاء الدّلالي،حيث ينطوي على معنى مركزي يؤطّر القصّة،و يشير إلى عالمها التّخييلي وحسب "جاك دريدا" **يشبه«**الثريّا التي تحتلّ بعدا مكانيّا مرتفعا يمتزج لديه بمركزية الإشعاع على النص**»**[1]
يعدّ العنوان بهذا واجهة القصّة الأماميّة التي قد تشير مباشرة إلى متن القصّة ، وتؤطّرها كما في القصص المسمّى واقعيا وقد يكون العنوان قريبا و مضلّلا،يلفت انتباه القارىء و يشدّه إليه،فيدفعه إلى المتن،لفهم العنوان.[2]

---

(1) سلمان كاصد،عالم النص،دار الكندي،الأردن،2003،ص15
(2) ينظر،حسين خالفي،البلاغة وتحليل الخطاب،دار الفارابي،بيروت،ط1،2011،ص181-182

ويمكن النظر إلى العنوان"كليلة و دمنة" من زاويتين الأولى،داخل السياق و الثانية من خارجه،و لا بدّ من التعويل على المستوى السّياقي،لأنّه يشكّل وحدة«مع العمل على المستوى السيميائي و يملك وظيفة مرادفة للتّأويل عامّة»[3]

والنوع الثاني هو المتواتر في "كليلة ودمنة"لأنّ عناوينها كلّها جاءت تتقدّم القصص و تعطينا فكرة مسبقة عنها هذا ما توحي إليه القراءة الأولية، لعنوان الكتاب"كليلة ودمنة" الذي يترجم شخصيتين معروفتين بالدّهاء في العلم والأدب،و كأنّ الكتاب كلّه تدور قصصه حولهما ولكن بقراءة متن النص نجد أمرا مخالفا لما يتوقّعه القارىء وهذا ما يبيّنه التّركيب النّحوي للعنوان الذي يشكّل جملة اسميّة مسلوبة الخبر،هذا الأخير الذي على القارىء البحث عن ثناياه في متن النصّ.

ولعلّ سرّ التّسميتين يكمن هو أن يشار بهما إلى الثنائيات الضديّة التي تتبني عليها قصص الكتاب(الخير والشرّ)فعناصر المادّة الأخلاقية في الكتاب متناثرة في ثنايا الحكايات كلّها و هناك ما يقابلها مثل الصّديق في مقابل العدو ،الأخلاق الحسنة في مقابل الأخلاق السيّئة.

و قد جاءت قصص الكتاب في خمسة عشر بابا على لسان الحيوان،فقد استنطق هذا الأخير لأجل إيصال موقف المبدع إلى متلقّيه بل إلى السّلطان أحيانا،معتمدا في ذلك على الحيل و الدّسائس و المكر و الخداع في وصفه لعوالم خيالية ليسلم من البطش العقاب فيما لو وجّه الانتقاد بشكل صريح و مباشر فهو نفسه يقرّر ضرورة استخدام الرّمز[*] في نصائح السلطان في أحد أمثاله القصصية عن الوزير العاقل«و لم يكن كلامه كلام عنف،ولكنه كلام رفق لين،حتّى إنّه ربّما أخبره ببعض عيوبه،ولا يصرّح بحقيقة الحال،بل يضرب له الأمثال و يحدّثه بعيب غيره،فيعرف عيبه فلا يجد ملكه إلى الغضب عليه سبيلا»[1]

قد تخيّل الكاتب في قصص الكتاب أنّ الناس قد انقلبوا إلى حيوانات تحت أسماء مختلفة،فتارة تجدهم أسودا،و أخرى أرانب، ومرّات ثيرانا أو غربانا أو حمامات و غير ذلك،إنهم أناس يعيشون في هذه القصص تحت ستائر تصوّرهم حيوانات بفضائلهم و نقائصهم،و من خلال أحاديثهم و أوصافهم و أفعالهم وحركاتهم وسكناتهم وكل حيوان وصفه "ابن المقفع" بما يناسبه من صفاته التي اشتهر بها في الواقع ففي الأسد رمز القوة الجسدية،متكبر مغرور و ضعيف الرّأي، و الثّور بصير بأموره مستقيم في عمله،وابن آوى(دمنة)داهية طموح،و(كليلة)طيّب القلب نصوح، والغراب محتال ذكي...وهكذا و بهذا

---

(3) عبد الله بن المقفّع،كليلة و دمنة للفيلسوف الهندي بيدبا،تع،إبراهيم شمس الدذين،الأعلمي،بيروت،ط1 ،2002،ص 16.

(*) أطلق الرمز على الخفي من الكلام ومثاله ما أورده الطبري ت 310 في تفسيره: « وكان يكلم الأبطال رمزا»، فاستنتج أن الرمز حديث خفي، وأنه يكون بالتلميح دون التصريح ولا يختلف في ذلك كثيرا المحدثون، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، أحمد اسماعيل شكوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2005، مج7، ص 122، ويعرفه غنيمي هلال بأنه:" الغيحاء أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا توقى على أدائها اللغة في دلالتها الوضعية، غنيمي هلال، الادب المقارن، دار العودة، بيروت، ط3، 1983، ص 398.

(1) ابن المقفع،كليلة و دمنة،باب البوم و الغربان،ص190

وافق بين الرّمز والمرموز إليه.فهو يحاول أن يراعي بين طبيعة الأسد بقوّته و ظلمه و بين الملك الظّالم الذي لا يأبه بالنّصيحة التي تأتيه من العقلاء.

و بهذا يكون أدب"كليلة و دمنة"أدبا رمزيا تختبىء وصاياه خلف حكايات دارت أحداثها على لسان الحيوانات والبهائم لأنّنا ننال بالتّلميح مالا ننناله بالتّصريح مصداقا لقوله صلّى الله عليه وسلّم:(من أراد أن ينصح السّلطان بأمر فلا يبديه له علانية ولكن فليأخذ بيده فيغلو به فإن قبل منه فذاك و إلاّ كان قد أدّى الذي له عليه)[1]

تطبيق:

اختر بابا من أبواب الكتاب واجْرِ عليها تحليلا منهجيا تكشف فيه مواطن الجمالية التي تضمّنها.

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل،مؤسّسة قرطبة،القاهرة،ج3،ص403